

**رمزية اللون في شعر فرسان العصر
الجاهلي
الجانب الحربي انموذجاً**

د. شروق عبد المجيد سلمان

الخطيب

تدريسية في ثانوية الامل للمتميزات

وزارة التربية / الرصافة ١

اهتمت العرب بفرسانها وعملت على تنشئتهم على البطولة ليدافعوا عن حمى قبائلهم , وكانت الحروب ميدانياً رئيساً لها . ومن اولئك الفرسان من كان شاعراً فتعاظدت فروسيته الشعرية مع فروسيته الحربية , فقد عُدَّ الشعر متمماً للفروسية وان الشاعر عنصر من عناصر القوة فهو ينقل صوراً حياً عما يجري في تلك المعارك ويذكر الاسلحة وانواعها وكيف تجري بايدي الفرسان فينهار العدو امامهم ويتحقق النصر , فقد رسم اولئك الفرسان صوراً حياً ضمّوها الواناً اختصت بالحروب اذ عُدَّ اللون البنية الاساسية في تشكيل القصيدة الشعرية واكثر تلك الالوان واوسعها تضمينا في القصيدة الحربية هو اللون الاحمر الذي يرمز لكثرة دماء الاعداء مقابل قوة القبيلة بفرسانها , ورمز اللوان الابيض والاسود الى الرماح والسيوف وما اثارته من غبار نتيجة احتدام المعركة , وكناية عن قوة الفرسان وشجاعتهم وشدة تكليفهم بالاعداء . تلك اهم الالوان التي وصفها الشعراء الفرسان في اشعارهم الحربية.

Abstract

Arabs took care of their cavalry and worked to raise them to the championship to defend the fever of their tribes, and wars were on the ground as its president.

It was among those cavalry who was a poet and his poetic fervor was reinforced with his military ferocity , He counted hair complement the equestrian and the poet is one of the elements of power, it conveys vivid images of what is going on in those battles and recalls the weapons and types and how to do in the hands of knights, the enemy collapses before them and victory, these horsemen painted vivid images, including the colors of the war. The color of the basic structure of the poetic poem was the most colorful and included in the poem. It is the red color which symbolizes the great blood of the enemies in exchange for the power of the tribe with its cavalry.

And the symbol of white and black to spears and swords and raised by dust as a result of the intensification of the battle, and a metaphor for the strength of the cavalry and courage and severity of the abuse of the Lord. These are the most important colors that the cavalry poets set in their war poems

المقدمة :

غاية البحث هي تناول الالوان وما ترمز اليه في حياة شعراء فرسان العصر الجاهلي , وأثرها في حياتهم وتوظيفها في حروبهم وانعكاساتها في اسلحتهم وميدان حروبهم , وعلى ضوء ذلك قام البحث على **مبحثين جاء الاول منهما** ليتناول نبذة اجتماعية عن حياة القبيلة وأفرادها ومراتبهم فيها , وكيفية اعتناء القبيلة بهم وأيلائهم الاهمية الكبرى منذ ولادتهم , اذ تعد الى تنشئتهم الجسمانية والحربية لما لهم من اهمية في الدفاع عنها وعن افرادها وحمائيتهم لها في ايام السلم والحرب . ويقوم المبحث على **مطلبين** تناول **الاول** , معنى اللون في اللغة والاصطلاح , وجاء **المطلب الثاني** ليبحث عن الالوان في التراث الادبي والموروث الاجتماعي , فتناولها مفصلة ومميز الاكثر اهمية منها في حياة اولئك الفرسان , وهي اللون الاسود , و اللون الاحمر , ثم اللون الابيض . بالإضافة للالوان الاخرى فركز على اكثرها اهمية , وقد قام هذا المطلب على **ثلاثة اقسام : القسم الاول (للون الاسود) , والقسم الثاني (اللون الاحمر) , والقسم الثالث (اللون الابيض) .**

في حين جاء **المبحث الثاني** بعنوان الاثر النفسي للون في شعر فرسان العصر الجاهلي وقد بحث حقيقة اللون وما يثيره من انفعالات وانعكاسات في حياة الفرسان , و لربما يختلف ذلك الانعكاس من فارس لآخر حسب تفضيله للون على اخر , وما يثيره فيه من مشاعر قوة او ضعف . وقد يختلف اللون في تأثيره على الفارس الواحد من موقف لآخر . وقد تضمن هذا المبحث **مطلبين** , **الاول** تناول توظيف الالوان في الحروب , وتناول **المطلب الثاني** : الالوان في السلاح . ثم ختم المبحث بخاتمة ضمت ما توصل اليه البحث . وقائمة بالمصادر .

المبحث الاول الحياة الاجتماعية للشعراء الفرسان

عاش عرب الجاهلية في بيئة مجدبة عكست أثرها عليهم فصبغت الوانهم بسمرة قاتمة منحتم قوة جسدية ضاهت جذبها , فأثرت في طباعهم التي تميزت بشدة التعصب وميلهم لخوض غمار الحروب إما رغبة منهم لنيل الحرية او دفاعا عن القبيلة وأفرادها او الذود عن نساها^(١) . وكان لكل قبيلة شاعرها وفارسها او فرسانها المدافعون عنها . وقد اهتمت العرب بهم وأولتهم عنايتها الفائقة لأنهم حمايتها فكانت تقييم الاحتفالات وتصنع اللواتم اذا ما نبغ فيها شاعر أو فارس . قال ابن رشيقي القيرواني في العمدة واصفاً ذلك : (كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة وأجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس وتباشر الرجال والولدان لانه حماية لأعراضهم وذباً عن أحسابهم , وتخليداً لمآثرهم وإشادة بذكورهم , وكانوا لا يهتمون إلا بغلام يولد , او شاعر ينبغ فيهم , او فارس

تنتج (١) . ويُعد الشعر من متمات الفروسية العربية إذ أن الفروسية تنتمي الى الشعر بقدر ما تنتمي الى التاريخ وأكثر (٢) , وبما ان الشاعر عنصر هو من عناصر القوة التي اقتضتها الحياة العربية القبلية لذا فاذا ما كان الفارس شاعراً فإنه أستكمل عناصر القوة المادية والمعنوية , وهنا يبلغ الفارس الشاعر أروع درجة تنظر القبائل اليها بعين العظمة والتقدير , فان اوقع الكلام عندهم هو ما صدر عن فارس شاعر لاجتماع آلة الحسام عنده مع آلة البيان (٤) .

وفيه قول قيس بن الخطيم مفتخراً بشجاعته الميدانية وفروسيته الشعرية :

وكنْتُ امرءً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً
وإني في الحربِ الضروسِ موكلٌ
إذا سَقِمْتُ نفسي الى ذي عداوةٍ
متى يأتِ هذا الموتُ لا تَبْقَى حاجةٌ
وكانت شجاً في النفسِ ما لم أبؤ بها
وقد جربتُ مني لدى كلِّ مآقظٍ
أسبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها
بإقدامِ نفسٍ ما أريدُ بقاءها
فإني بنصلِ السيفِ باغِ دواءها
لنفسِي إلا قد قضيتُ قضاها
فبؤثُ بنفسٍ قد أصبتُ دواها
دُوحيُّ إذا ما الحربُ أَلقت رداها (٥)

وينتمي اولئك الفرسان الى الطبقة الاولى من طبقات القبيلة بعد شيوخها فهم ابناؤها الاصيلون دمهم واحد وينتمون لجد واحد , وهم عماد القبيلة يحمونها بأنفسهم وأموالهم (٦) . أما الميدان الذي كانوا يتدربون فيه ويظهروا قوتهم فيه فهي الحروب التي امدتهم بالصور الحربية وألوانها وأهوالها وما يدور فيها من كَرٍ وفرٍ , ولمعان سيوف وصهيل خيول , وإنكسار عدو مما ألهمهم دقة في الوصف وحساً في التصوير , وإجاده في التراكيب والتي امدتهم بالكثير من الاوصاف والصور التي انسابت على ألسنتهم شعراً والتي يمكن ان يدخل اللون في تشكيلها وفيه قال بشر بن ابي خازم :

يا سُمَيْرَ الفَعَالِ مَنْ لِحروبِ
ذاتِ جَرَسٍ , يَسْمُو الكِماءَ إلى
يَنسَافِقُونَ سَمَّها في ذُرُوعِ
كُنْتَ تَصَلِّي نيرانَهُنَّ إذا ضا
وصريعُ مُسْتَسَلِمٍ بينَ بيضِ
قد تَلَفَيْتَ شِلْوَةَ فوقِ نهدِ
فَصَرَفْتَ السُّمْرَ النَّواهِلَ عَنْهُ
مُسَعَّرَاتٍ يَجْلُنَ بالأبطالِ
الابطالِ في نَقَعِها سُمُو الجِمالِ
سَاطِغَاتٍ مِنَ الحَديدِ ثِقَالِ
فَتُ لِرِيعانِها صُدُورُ الرِّجالِ
يَتَعَاوَرَتُهُ وَسُمُرُ العَواليِ
أَعْوجِيّ ذِي مِيعَةٍ وَنَقَالِ
بَغْمُوسٍ مِنْ مُرْهَفَاتِ النَّصَالِ (٧)

نرى الشاعر في هذه الابيات اورد صوراً متلاحقة للممدوح من بطولة أضفاها عليه في الحروب وبسالة عُدته عند الفرسان ففخروا بها .

المطلب الاول اللون في اللغة والاصطلاح :

تتابع اصحاب معاجم اللغة العربية , في تعريفهم للون اذ عرّفه ابن منظور بقوله : (اللون:هيئة كالسواد والحمرة ولونته فتلون ولون كل شيء , ما فصل بينه وبين غيره , وقد تلوّنه وكوّنه , والالوان : الضروب . واللون : النوع , وفلان متلون : اذا كان لا يثبت على خلق واحد) (٨) كذلك عرّفه ابن فارس بقوله : (لون : اللام والواو والنون كلمة واحدة . وهي لون الشيء كالحمرة والسواد) (٩) اما في الاصطلاح فلم يكن هناك اتفاق على مفهوم دقيق للون إلا ان العديد من الدراسات الحديثة جاءت لتعرفه بأنه خاصية ضوئية تعتمد على طول الموجة اذ يتوقف اللون الظاهر لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه (١٠) . أي ان اللون تأثير فيسولوجي ناتج عن اثر يحدث في العين عند استقبالها الضوء المنعكس على سطح معين . لذا فهو احساس وصفة للجسم تميزه عن غيره من الاجسام .

المطلب الثاني اللون في التراث الادبي والموروث الاجتماعي :

مثّلت الألوان ملماً جمالياً في الحياة العربية ومنها الشعر منذ القدم فعلى الرغم من كون الصحراء تخلو من الالوان إلا ما ندر إلا أننا نجد نصوصاً شعرية حافلة بالدلالات اللونية . كان الانسان العربي يلتفت الى ادق تفاصيل الالوان في بيئته المحيطة به على الرغم من قلتها فيميز بينها و يعبر عنها في ادق المسميات (١١) . تلك المسميات التي كانت ذات مدلولات عميقة الجذور واكبت الحياة فحكمت صوراً بيئية ملونة , ولم يكن ذلك عبثاً بل كان له دلالات خاصة ومعانٍ للحياة وصورها تعارف الناس عليها ومنهم الشعراء الفرسان (١٢) . فقد اكتسبت الالوان وألفاظها دلالات اجتماعية ونفسية جديدة الى جانب دلالاتها الحقيقية نتيجة ترسبات طويلة علفت في اذهان ونفوس الجاهليين . وبمرور الزمن عُدَّ اللون أحد أهم الرموز التي اعانت الانسان في توضيح افكاره بل وأصبح اللون رسالة بين المرسل والمتلقي فيتبناها ويفهم المراد منها . اما في الشعر العربي فان اللون كان بمثابة البنية الاساسية المهمة في تشكيل القصيدة الشعرية , اذ انه يحمل قدر كبيراً من العناصر الجمالية والاضاءات الدالة التي تعطي ابعاداً فنية للعمل الادبي على وجه الخصوص (١٣) . تنقسم الالوان على ستة اقسام رئيسة هي

الاسود والأبيض والأحمر والأخضر والأصفر والأزرق وهي الالوان البؤرية في المعجم العربي^(١٤) . وسيتناول البحث الالوان الاسود والأبيض والأحمر لعلاقتها بالجانب الحربي لشعر الفرسان وهو مضمون البحث .

القسم الاول:

١- اللون الاسود:

ارتبط هذا اللون بمعانٍ دلّت على السوء والموت والدمار من جهة ، والمهانة والشؤم من جهة اخرى ، فهو يثير الحزن في النفوس والخوف من المجهول والشؤم لارتباطه بأشياء منفرة في الطبيعة دون سائر الالوان ، اذ انه يرتبط بالليل والظلام و السخام والرماد المتخلف عن الحريق^(١٥) . ولعل ذلك هو سبب النفور منه اذ وصفوا كلما هو سيئ بالسواد^(١٦) . وفيه عاب بنو عبيس على عنترة بن شداد سواد لونه ونفروا منه ، لكنه لم يابه لزمهم اياه لما تحمله بشرته من سواد قال :

يعيبون لوني بالسواد جهالةً
وإن كان لوني أسوداً فخصائي
ولولا سواد الليل ما طلع الفجرُ
بياضٌ ومن كفي يُستنزل القطرُ^(١٧)

فالشاعر الفارس يخبر قومه بأنهم لم يروا منه إلا لونه و انكروا افعاله وبطولاته الحربية كما قال أن طلوع الفجر لايد له من سواد ليل فكذلك هم لن تقوم لهم قائمة لولا بطولاته في الدفاع عنهم وعن جماهم ، فقد كان العرب يتشاءمون من ذوي البشرة السوداء ، ولا يعترفون بهم ، لأنهم يربطون بين لونها ولون الغراب حتى انهم اطلقوا عليهم تسمية (الأغبية) ، ومنهم عنترة بن شداد وسحيم عبد بني الحساس و الشنفرى وغيرهم .

القسم الثاني

٢- اللون الاحمر:

يُعد هذا اللون من اوائل الالوان التي عرفها الانسان فهو من الالوان الحارة او الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة^(١٨) . وقد جاء في دلالاته النفسية ، انه لون الحرب والفتك بالاعداء ، اذ يُعبّر به عن الشجاعة في الحروب وفيه تَعَنَى عنترة بن شداد بالحرب وما ارتبط بها من دماء مخاطباً سباع الفلاة قائلاً :

يا سباع الفلا اذا اشتعل الحر
إتبعيني تري دماء الاعادي
ثم عودي من بعد ذا وأشكريني
وخذني من جماجم القوم قوتاً
بأثبعيني من القفار الخوالي
سائلات بين الرّبي والرّمال
وإذكري ما رأيته من فعالي
لبنيك الصغار و الاشبال^(١٩)

فهو لم يكتف بان أسال دماء الاعداء ، بل دعا اليها سباع الفلاة ، لتأخذ من اشلائهم طعاماً لبنيتها . وفي لوحة اخرى رسم لنا الفارس عنترة بن شداد صورة مملوءة بدماء الاعداء بعد ان قتل سيدهم وانزل الرعب فيهم فحَضَب سيفه بتلك الدماء مستعرضاً قوته وشجاعته الميدانية وحمايته من يلجأ اليه بقوله :

أنا الاسد الحامي جمى من يلوذ بي
اذا ما القيت الموت عممت رأسه
سوادي بياض حين تبدو شمائي
ألا فليعيش جاري عزيزاً وينثني
هزمت تميماً ثم جندلت كتبهم
وَفَعَلِي له وصفٌ الى الدهر يُذكرُ
بسيفٍ على شرب الدِما يتجوهرُ
وَفَعَلِي على الانساب يزهو ويفخرُ
عدوي ذليلاً نادماً يتحسرُ
وَعُدْتُ وسيفي من دم القوم احمرُ^(٢٠)

فقد أوردَ عنترة اوصافاً عَضَدت صورته الشعرية في هذه القصيدة وزادتها قوة الى قوته الجسدية والبطولية اذ نراه يفخر بأنه يُشرب سيفه من دماء الاعداء فلا يتسخ بل يمضي حاداً فيهم ، ويزداد القأ وحدة وأراد بذلك فخره بأفعاله دون نسبه الذي لم يعترف به والده وقومه .

القسم الثالث :

٣- اللون الابيض :

دلّ هذا اللون في مختلف الحضارات على النقاء والطهارة والنظافة والخير والتعاؤل والقدسية والنصر في الحروب^(٢١) . وقد ضمته الشعراء اوصافهم حينما عبّروا عن انتصاراتهم في الحروب ومنه قول عامر بن الطفيل في غارة لقومه على بني عبيس أدافوهم مرارة الانكسار :

لنا في الرّوع أبطالٌ كرامٌ
على جُردٍ مُسمّومةٍ عِناقٍ
إذا ما الرّكضُ اسهلّ جانبِها
ويومُ الشّعبِ غادَرنا لقيطاً
غداةً أرادَ ان يَسْمُوَ إلينا
فأبنا غائمين بما استَفانَا
إذا ما الخيلُ جَدَّ بها الصّهيلُ
تَوَقَّصُ بالشبابِ والكُحولِ
وَجَدَّ السَّيْرُ وانقطعَ النقيْلُ
بأبيضِ صارمٍ عَضِبِ صَقيلِ
بأسرتهِ واخلقَه القَبيلُ
نسوقُ البيضِ دَعواها الاليلُ^(٢٢)

استخدم الشاعر الفارس لفظة البيض بمعنيين فاجتمعت الدلالة على السيف والظاهرة او النقاء , وهذا ما عبّر به الشعراء في هذا اللون .

الصبيح الثاني: الأثر النفسي للون في شعر الفرسان :

تعد الالوان مرآة حقيقية لنفسية الفرد تعكس ما يشعر به , ولها تأثير مباشر على النفس الانسانية لا يمكن اغفاله , ويختلف هذا التأثير بحسب اللون والشخص الذي تتحكم به مجموعة عوامل ذاتية وخارجية^(٢٣) . فالالوان و الخطوط ليست الا علامات لحقائق نفسية مخفية بدواخلنا^(٢٤). ان التأثير النفسي يكمن وراء مسألة تفضيل لون ما أو عدة ألوان كما انه يعكس شخصية الانسان ويكشفها , اذ ان لكل لون دلالات خاصة ترتبط به^(٢٥) , ومعنى خاصاً به يؤثر في النفس تأثيراً عميقاً فتستجيب له دون سواه . (وقد اقترنت تلك الالوان منذ اقدم العصور بإثارة المظاهر الغريبة في النفس البشرية , فهي تثير الخوف والاضطراب والسعادة والارتياح , والحزن والهلع , لكنها في احايين كثيرة تختلف عند الفرد الواحد بحسب الظروف النفسية التي يمر بها الانسان)^(٢٦) . فمثلا يمثل اللون الاحمر لون الدم والنار وهو لون الاشخاص الذين يعبرون عن نواتهم ممن لديهم شعور قوي و ارادة اقوى , ويرد ذكر اللون الاحمر عند الشاعر الفارس في ميدان الحرب بمفرده اخرى تمنحه معناه ودلالته الحربية . فلو تتبعناه عند عنتره بن شداد لوجدناه قد عبّر به عن الدم فجاء بلفظه , وفيه قوله مشيراً الى فخره بقوته الحربية :

لعمرك إنّ المجدّ والفخر والغلا
لمن يلتقي أبطالها وسراتها
ويبني بحدّ السيفِ مجدداً مشيداً
ومن لم يردّ رحمةً من دم العدا
ويُعطي القنا الخطي في الحرب
يعيشُ كما عاش الذليلُ بغصةٍ
ونيل الاماني وارتفاع المراتبِ
بقلبِ صبورٍ عند وقع المضاربِ
على فلكِ العلياءِ فوق الكواكبِ
إذا اشتبكت سمرُ القنا بالقواضبِ
حقه ويبري بحدّ السيفِ غرض المناكبِ
وإن مات لا يُجري دموع النواذبِ^(٢٧)

ومثله الشاعر الفارس عامر بن الطفيل الذي ذكر اللون الاحمر بلفظ الدم , وكان في موقف الحرب , واراد رسم صورة للبطولة الحربية وانكسار العدو لشدة ما أوقعه الفارس وقومه بهم من تقيل وتتكيل فاصطبغت أسنة الفرسان بدماء الاعداء بقوله:

إذا نعى الحربِ ناعوها بدت لهم
عليهم البيض والابدانُ سابعَةً
صيخنَ عنبساً غداة الرّوعِ آونةً
وانقضت الخيلُ من وادي الذبابِ وقد
إن تسألني الخيلُ عنّا في مواقفها
أبناءً عامرٍ تُزجي كل مُخرَجِ
يُفخمون كأنّ القومَ في رهجِ
وهنّ عالينَ بابنِ الجؤنِ في درجِ
أصغت استنتها حُمراً من الودجِ
يومَ المشقرِّ والابطالِ في زعجِ^(٢٨)

ويستمر التأثير النفسي للحرب على احساس عنتره بن شداد فلا يزال مستخدماً اللون الاحمر في وصف المعارك ولكن هذه المرة باستخدام لفظ اخر وهو النار لتدل على قوة وشدة بأس الشاعر وفروسيته مفتخراً بها وبشجاعة قومه قائلاً:

لقد وجدنا زبيداً غير صابرةٍ
إذا أدبروا فعملنا في ظهورهم
وخالدٌ قد تركت الطيورَ عاكفةً
على دماه وفي جسمه رمقُ^(٢٩)
يوم التقينا وخيل الموت تستبقُ
ما تعمل النار في الحلقى فتحترقُ

وفي صورة اخرى يستمر عامر بن الطفيل ليرسم لوحته الفروسية التي عبّرت عما يختلج احساسه التواقّة للحروب دفاعاً عن قومه واستشفاءً بدم الاعداء , نراه استبدل اللون الاحمر بدلالته اللفظية بلفظ اخر وهو الحديد , وأراد بها السيوف وما تولّده من نيران تحرق الاعداء فقال في ذلك :

أَلَا طَرَفْتُكَ مِنْ خَبْتِ كَثُودٍ
كَأَنَّكَ لَمْ تَرِينَا يَوْمَ غَوْلٍ
بِمَا لَأَقْتُ سِرَاءَ بَنِي أُجَيْمٍ
وَعَبْدُ الْقَيْسِ بِالْمَرْدَاءِ لَأَقْتُ
صَبْحَنَاهُمْ بِكَلِّ أَقْبِ نَهْدٍ
فَقَدْ فَعَلْتُ وَأَلْتُ لَا تَعُودُ
وَلَمْ يُخْبِرْكَ بِالْخَبْرِ الْجُنُودُ
تَعَصَّ سِرَاتَهُمْ فِينَا الْقَيْوُدُ
صَبَاحاً مِثْلَ مَا لَقَيْتُ ثُمُودُ
وَمُطْرِدٍ لَهُ يَقْدُ الْحَدِيدُ^(٣٠)

وحيثما يعود الشاعر من ميدانه الحربي تصفو روحه فيكون للون معنى اخر في ذاته . فهذا عنتره ابن شداد يتغنى بحبه لابنة عمه عبلة لكنه يتأهلي الى مسامعه ان عمارة بن زياد العبسي قد خطبها , وان اباهما وافق عليه لماله وشهرته فغضب عنتره واخذ يتوعد وينكر عليهم ذلك فتضارب مشاعره و قال :

إِذَا جَحَدَ الْجَمِيلِ بَنُو قُرَادٍ
فَهُمْ سَادَاتُ عَبْسٍ أَيْنَ حَلُودٍ
وَلَا عَيْبٌ عَلَيَّ وَلَا قَلَامٌ
فَإِنَّ النَّارَ تُضْرَمُ فِي جَمَادٍ
وَيُرْجَى الْوَصْلُ بَعْدَ الْهَجْرِ حِيناً
حَلَمْتُ فَمَا عَرَفْتُمْ حَقَّ جِلْمِي
وَجَارِي بِالْقَبِيحِ بَنُو زِيَادٍ
كَمَا زَعَمُوا وَفِرْسَانُ الْبِلَادِ
إِذَا أَصْلَحْتُ حَالِي بِالْفَسَادِ
إِذَا مَا الصَّخْرُ كَرَّ عَلَى الزَّنَادِ
كَمَا يُرْجَى الذَّنُوءُ مِنَ الْبِعَادِ
وَلَا ذَكَرْتُ عَشِيرَتَكُمْ وَدَادِي^(٣١)

مما تقدم نجد ان اللون الواحد يختلف عند الفرد الواحد بحسب حالته النفسية , والموقف الذي هو فيه , كما يبرز الجانب الذاتي لتفضيل شاعر ما للون معين . وان ما يهم البحث هو تأثير الالوان على نوات الشعراء الفرسان ونفوسهم وكيف وظفوها وعبّروا من خلالها عن مشاعرهم ولاسيما واقعهم الحربي مستعينين بألفاظ واللوان معينة , ولم يكتفوا بذلك اذ كانت غايتهم تأطير صورهم تلك بإطارات ذات ابعاد متحركة بذاتها لتضفي عليها الالوان ميزة ربما افتقرت اليه قبل الاضافة^(٣٢) , لان الالوان هي اداة الشاعر ووسيلته في التعبير , وعن طريقها يحيل الشاعر تجربته الى وجود فني^(٣٣) . وبذلك يمكننا القول ان الوظيفة الاساسية للون هي نقلها افكار الفرد ومشاعره وانفعالاته الى المخاطب^(٣٤).

المطلب الاول توظيف الالوان في الحروب :

يضيف اللون قدرات جديدة من الاثارة وتوسيع القابليات لهيكل النص ليخدم الصور الشعرية المنبثقة عن ذلك اللون^(٣٥) . ويعتمد على قدرة الشاعر وتمكّنه من اثاره مكونات المتلقي النفسية والفكرية , فيضيف على النص الشعري كثيفاً دلاليّاً وصوراً شعرية قد لا تمنحها الكلمات مجردة منه^(٣٦) . فقد صور الشعراء الفرسان ما خاضوه من حروب ومعارك طاحنة , فسجلوا كل حدث فيها , كما سجلوا قوتهم وأعدادهم وأسلحتهم , ولم يتوقفوا عند ذلك بل انطلقوا يصورون ما دلّ على ضعف وتخاذل اعدائهم وانهزامهم امامهم بعد ان اتخذ اولئك الفرسان من الالوان اداة تبلغهم غاياتهم وهي اثاره الرعب في قلوب الاعداء مركزين على اللوان معينة , الاحمر , الأسود , الابيض جعلوها سمة للمعارك وخصّوها بتلك الاجواء لتكامل صورهم الشعرية . لقد اختار الفارس عنتره بن شداد ما يناسب لوحته الحربية من اللوان أوحّت لفعله البطولي , فركّز على اللون الاحمر , لما له من تأثير ووقع في نفوس الاعداء قال

فَصَرَخْتُ فِيهِمْ صَرْخَةً عَيْسِيَّةً
وَعَطَفْتُ نَحْوَهُمْ وَصَلَيْتُ عَلَيْهِمْ
وَطَرَخْتُهُمْ فَوْقَ الصَّعِيدِ كَأَنَّهُمْ
وَدَمَاؤُهُمْ فَوْقَ الدُّرُوعِ تَخَضَّبَتْ
وَلرَبِّمَا عَثَرَ الْجَوَادُ بِفَارِسٍ
كَالرَّعْدِ تَدْوِي فِي قُلُوبِ الْعَسْكَرِ
وَصَدَمْتُ مَوَكِبَهُمْ بِصَدْرِ الْإِبْجَرِ
أَعْجَازُ نَخْلِ فِي حَضِيضِ الْمَحْجَرِ
مِنْهَا فَصَارَتْ كَالْعَقِيقِ الْإِحْمَرِ
وَيَخَالُ أَنَّ جَوَادَهُ لَمْ يَعْتَرِ^(٣٧)

ولم يغفل الشعراء الفرسان عن ذكر الحيوانات المفترسة و الوانها وما ترمز اليه في رسم تلك الصور للدلالة على قوة الفارس وفيها جاء قول

ياعبل هل بُلغْتَ يوماً أنني
كم فارسٍ غادرتُ يأكلُ لحمه
أفري الصدورَ بكلِّ طعنٍ هائلٍ
وأذا ركبتُ ثرى الجبالِ تصبُحُ من
وأذا غزوتُ تحومُ عُقبانُ الفلأ
وَأَلَيْتُ مُنْهَزِمًا هَزِيمَةً مُدْبِرِ
ضاري الذنابِ وكاسراتِ الأنسرِ
والسَّابِغَاتِ بِكَلِّ ضَرْبٍ مُنْكَرِ
ركضِ الخيولِ وكلِّ قَطْرِ موعِرِ
حولي فَتَطعمُ كَبَدَ كلِّ عَضْنَفِرِ (٣٨)

ويجعل بشراً بن أبي خازم من الخيل وما اصطبغت به من دماء الاعداء محوراً صاغ فيه صوره الشعرية البطولية مفتخراً بقوته وقومه وشدة بسالتهم في الحروب قال :

كُنَّا إِذَا نَعْرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً
نَعْلُو الْقَوَانِسَ بِالسِّيُوفِ، وَنَعْتَرِي
يَخْرُجَنَّ مِنْ خَلْلِ الْعُبَارِ عَوَابِسًا
نَشْفِي صُدَاعَهُمْ بِرَأْسِ مِصْدَمِ
وَالخَيْلِ مُشْعَلَةً النُّحُورِ مِنَ الدَّمِ
حَبِيبِ السَّبَاعِ بِكَلِّ اكْلَفِ ضَيْغِمِ (٣٩)

نجد ان بشراً قد استعان باللون الاحمر لهيبته وهيمنته في الحرب (الدم) , وقد حاول ان يُحشد المزيد من الالوان العنيفة التي اوحى بالقوة والشدّة , فقد وصف الخيل وما تثيره من غبار عند اشتداد المعارك واسوداد اجوائها.

المطلب الثاني توظيف الالوان في السلاح :

ابدى الشعراء الفرسان اهتماماً بالغاً بذكر اسلحتهم بلغت حداً يضاهاى اهميتها في حياتهم ومواقفهم البطولية(٤٠) , وما تحقّقه معهم من انتصارات في وقائع خالدة , وذلك بتحشيدهم لالوانها وأوصافها لإبراز دورها في تحقيق الانتصارات ليمنحوها قوة تُنزل الرعب في قلوب الاعداء , فكانت الفاظ السيوف البيض , والرماح السمر من اكثر تحشيدات الالوان التي اهتم بها الشعراء الفرسان(٤١) . كما ذكروا الفرس والدروعفصوّروا بها قوتهم وقوة اسلحتهم ودورها في إراقة دماء الاعداء وإحراز الانتصارات المؤزرة . وفيها وصف عمرو بن شأس الاسدي احدى معارك قومه وهو فيهم فذكر أسلحتهم واضفى عليها من الالوان التي اجتمعت معها فحققت النصر قال:

بكلِّ فتى رخوا النجادِ سَمِيدِ
بأيدهم سُمُرٌ شِدادٌ مُتَوْنِها
إِذَا ما فَرَعْنَا فِي قِرَاعِ كَتِيبِ
وَأَشِيبَ لِمَ يُخَلِّقُ جَباناً وَلا وَعْلاً
مِنَ الخَطِّ أَوْ هَنْدِيَّةً أَحَدِثَتْ صَقْلاً
صَرَفْنَا إِلى أُخْرَى يَكُونُ لَهُمْ شُغْلاً (٤٢)

ويهدد عامر بن الطفيل أعدائه وينذرهم ان يتجنبوا قوما تحت حماية بني عامر لأنهم حاضرون للدفاع عنهم , مفتخراً بقومه وبطولات فرسانهم ذاكراً أسلحتهم من رماح , وسيوف غير متناسٍ الفرس ودورها في إحراز النصر وكل تلك الاسلحة اجتمعت تحت راية كتائب الجيش البطل فحققت الانتصارات قال في ذلك :

تجنبُ نُميراً ولا توطها
وإن رماح بني عامرِ
هم الجابرون عظام الكسيرِ
وهم يضربون غداة الصبا
يقيمون للحرب صفارها
كماة حماة إذا ما الشفا
يطيلون للحرب تكرارها
وإن الذي قد أتيتم به
ستعلم إن زُمثوهم إذا
فإن بها عامراً حُصراً
يُفطرن من علقِ الاحمر
إذا ما الكسائر لم تجبر
ح انف المدحج ذي المغفر
إذا ثورُ القسطلُ الاغبرُ
هُ يَعْجِزُ عن ضَمها المشقرُ
إذا الهبتُ لها تُسَعِرُ
سيكذبُه عنكم المخبرُ
تلقى كتائبها الحسرُ (٤٣)

وقد يمتدح شخص فيوصف بصفات الاسلحة بيد الفرسان مثلما مدح قيس بن زهير الربيع بن زياد فأضفى عليه سمات البطولة والنصر بقوله:

ذمار أبيهم فيمن يضيغ
صوارم كلها ذكر ضيغ^(٤٤)

لعمرك ما اضاع بنو زياد
بنو جنية ولدت سيوفاً

من هنا نجد ان الشعراء الفرسان أضفوا صفاتاً لأسلحتهم من الالوان المحيطة بهم . والمعبرة عن رموزٍ غدت معلومة لديهم ولدى مجتمعهم , فإذا ما أرادوا إبراز قوتهم وشدة تنكيلهم بالاعداء جاءوا باللون الاحمر فجعلوه صفة ملازمة للسيف والرمح , ادوات القتال وإحراز نصرهم فهو رمز للدم عندهم . اما اللون الاسود فهو رمز الحزن الذي يخيم على الاعداء نتيجة الانكسار الذي يحيقه الشاعر الفارس وقومه بخصومهم . واما اذا ما أرادوا مدح شخص او اشخاص لقوتهم في الحرب ذكروا تلك الاسلحة وهي كناية عن انهم يدافعون عن الحق ويحافظوا عليه وينصرونهم .

خاتمة البحث :

توصل البحث الى

- ١- أن العرب اهتمت بفرسانها كما اهتمت بشعرائها الذين عدوا سفرائها في القبائل , فهم حماتها في السلم والحرب , فكانت تجعلهم في الطبقة الاولى من طبقات القبيلة وتشاركهم في اتخاذ قراراتها , وأذا كان أن اجتمع الشعر مع الفروسية كان ذلك مدعاة فخر للقبيلة , فكلاهما الشعر والفروسية يكملان بعضهما بعضاً .
- ٢- أمد المجتمع حياة افراده بموروث عن كل جوانبه ومنها الالوان التي اتفق المجتمع تسمية كل لون ومعناه في الحياة ورمزه , ومنها الالوان ورموزها في حياة الشعراء الفرسان الذين اضافوا عليها من خبراتهم الاجتماعية معانٍ جديدة نبعت من دواخلهم فكُونوا صوراً جديدة لها , عبّروا من خلالها عن صورهم الحربية , فنقلوا لنا ما جرى في ساحات الوغى من الوقائع الحربية .
- ٣- للالوان انعكاسات نفسية على الشعراء الفرسان , ولكل لون أثر في النفس يختلف عن الآخر , ومن شخص لآخر , ومن حالة لآخرى . فالمفردة في موقف الفرح تختلف عنها في موقف الحزن او الحرب , فان الوظيفة الاساسية للون هي نقلها افكار الفرد ومشاعره وانفعالاته الى المخاطب .
- ٤- اضفت الالوان وما اثارته في نفوس الفرسان صوراً شعرية وسماتاً جديدة في الحروب والسلاح , تلك الالوان التي ركّز عليها الشعراء الفرسان واتخذوها مادة وظفوها في اشعارهم ومنها اللون الاحمر , اللون الاسود . اللون الابيض , لعلاقتها بالحروب .

قائمة الهوامش :

- ١- ينظر ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي , منذر الجبوري : ٤٨ وينظر الطبيعة في الشعر الجاهلي د. نوري القيسي: ٤٩ كما ينظر الشعر الجاهلي د. محمد عبد المنعم خفاجي: ٩
- ٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١ : ٣٠
- ٣- ينظر تقاليد الفروسية عند العرب , واصف بطرس غالي: ٥
- ٤- ينظر الشعراء الفرسان , بطرس البستاني : ١٢
- ٥- ديوان قيس بن الخطيم : ٢٣
- ٦- ينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه , د. يحيى الجبوري: ١٧٨
- ٧- ديوان بشر بن ابي خازم : ١٧٢-١٧٣
- ٨- لسان العرب , ابن منظور م (١٣) مادة لون
- ٩- مقابيس اللغة , ابن فارس : ١٢٣
- ١٠- الموسوعة العربية الميسرة , محمد شفيق غريال وزملاؤه مج ٢/ ص ١٥٨١
- ١١- ينظر لغة الالوان , شفيق جبيري : ٢٠
- ١٢- ينظر اللغة واللون , د. احمد مختار عمر: ١٨٣
- ١٣- ينظر اللون و دلالاته في الشعر , ظاهر محمد هزاع : ص ١٣
- ١٤- ينظر سايكولوجية ادراك اللون والشكل , قاسم حسين صالح : ٣٠٨
- ١٥- ينظر اللغة واللون , د. احمد مختار عمر : ٢٠

- ١٦- ينظر فقه اللغة , الثعالبي : ١٠٨
 ١٧- ديوان عنتر بن شداد : ١٠٦
 ١٨- ينظر اللغة واللون , د. احمد مختار عمر: ١١٠
 ١٩- ديوان عنتر بن شداد , : ١٧٥-١٧٤
 ٢٠- المصدر نفسه : ٩٥
 ٢١- ينظر لسان العرب , ابن منظور , مادة (بيض)
 ٢٢- ديوان عامر بن الطفيل : ٩٧-٩٥
 ٢٣- ينظر الالوان نظريا وعمليا , ابراهيم دمخلي : ٦٣ , ٦٧
 ٢٤- علم نفس الادب , د. سامي الدروبي : ٢٢
 ٢٥- ينظر اللغة واللون , د. احمد مختار عمر : ١٨٣
 ٢٦- الالوان واحساس الشاعر الجاهلي بها , د. نوري القيسي : ٧٦
 ٢٧- ديوان عنتر بن شداد : ٢٣ , ٢٢
 ٢٨- ديوان عامر بن الطفيل : ٣٧
 ٢٩- ديوان عنتر بن شداد : ١٣٦
 ٣٠- ديوان عامر بن الطفيل : ٤٨
 ٣١- ديوان عنتر بن شداد : ٥٧
 ٣٢- الالوان واحساس الشاعر الجاهلي بها , د. نوري القيسي : ٧٥-٧٦
 ٣٣- الصورة اللونية في شعر السياب , د. شاكر هادي: ١١١
 ٣٤- ينظر المتخيل الشعري , محمد صبار: ١٦١
 ٣٥- ينظر جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم , د. ابتسام الصفار: ٦٦
 ٣٦- ديوان عنتر بن شداد : ١٠٥
 ٣٧- ديوان عنتر بن شداد : ١٠٣-١٠٤
 ٣٨- ديوان بشر بن ابي خازم : ١٨١
 ٣٩- ينظر الفروسية في الشعر الجاهلي , د. نوري القيسي : ١٦٤
 ٤٠- ينظر اللون في الشعر العربي القديم , د. زينب العمري : ١٠٧
 ٤١- ديوان عمرو بن شأس الاسدي : ٤٠
 ٤٢- ديوان عامر بن الطفيل : ٦٦-٦٨
 ٤٣- شعر قيس بن زهير , د. عادل البياتي : ٢٥

قائمة المصادر:

- ١- ايام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي . منذر الجبوري , دار الشؤون الثقافية العامة (د.ط) ١٩٨٦
 ٢- الألوآن نظريا وعمليا , ابراهيم دمخلي , مطبعة افنسننت - حلب - الكندي , ط ١ , ١٩٨٣
 ٣- الألوآن وإحساس الشاعر الجاهلي بها , د. نوري حمودي القيسي , ١٩٦٩ , مجلة الاقلام
 ٤- تقاليد الفروسية عند العرب , واصف بطرس غالي , دار المعارف - القاهرة , ١٩٦٠
 ٥- توظيف اللون في شعر المكفوفين في العصر العباسي , دنيا طالب العتابي , ٢٠٠٣
 ٦- ديوان بشر بن ابي خازم , عني بتحقيقه د. عزة حسن , منشورات وزارة الثقافة - دمشق , ١٩٧٢
 ٧- ديوان عامر بن الطفيل , رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري عن ابي العباس احمد بن يحيى بن ثعلب , دار صادر - بيروت - بيروت , ١٩٥٩

- ٨- ديوان عمرو بن شأس الاسدي , د. يحيى الجبوري , دار العلم - الكويت , ط ١ , ١٩٧٦
- ٩- ديوان قيس بن الخطيم , حققه د. ابراهيم السامرائي و د. احمد مطلوب , مطبعة العاني - بغداد , ط ١ , ١٩٦٢
- ١٠- سايكولوجية ادراك اللون والشكل , قاسم حسين صالح , دار الرشيد - بغداد , ١٩٨٢
- ١١- الشعر الجاهلي , محمد عبد المنعم الخفاجي , دار الكتاب اللبناني - بيروت , ١٩٧٣
- ١٢- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه , د. يحيى الجبوري , دار النهرين للطباعة والنشر , ١٩٧٢
- ١٣- الشعراء الفرسان , بطرس البستاني , دار المكشوف - بيروت , ط ٢ , ١٩٦٦
- ١٤- ديوان عنتر بن شداد , تحقيق وتقديم المحامي فوزي عطوي . الشركة اللبنانية للكتاب اللبناني , ١٩٦٨
- ١٥- شعر قيس بن زهير , د. عادل جاسم البياتي , مطبعة الاداب - النجف الاشرف . ١٩٧١
- ١٦- الطبيعة في الشعر الجاهلي , د. نوري حمودي القيسي , دار الارشاد - للطباعة والنشر والتوزيع , ط ١ , ١٩٧٠
- ١٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه , ابو علي الحسن بن رشيد القيرواني , تحقيق محمد احمد عبد القادر - احمد عطا , دار الكتب العلمية - بيروت , ط ١ ٢٠٠١م
- ١٨- علم النفس والادب , د. سامي الدوري , دار المعارف - القاهرة , ط ٢ , ١٩٨١م
- ١٩- الفروسية في الشعر الجاهلي , د. نوري القيسي , دار التضامن - بغداد ط ١ , ١٩٦٤م
- ٢٠- فقه اللغة وسر العربية , ابو منصور اسماعيل الثعالبي النيسابوري , دار الكتب العلمية - بيروت (د.ت)
- ٢١- اللغة واللون , د. احمد مختار عمر , دار البحوث العلمية - الكويت , ط ١ - ١٩٨٢
- ٢٢- اللون في الشعر العربي القديم , د. زينب عبد العزيز العمري , مطبعة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨١م
- ٢٣- اللون ودلالاته في الشعر , الشعر الاردني نموذجاً , د. ظاهر محمد هزاع الزواهره , دار الحامد - عمان , ط ١ - ٢٠٠٨
- ٢٤- لسان العرب , ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري . دار صادر - بيروت
- ٢٥- لغة الالوان , شفيق جبيري , مجلة مجمع اللغة العربية , بدمشق - مجلد ٤٢ جزء ٢ - ١٩٦٧م
- ٢٦- الموسوعة العربية الميسرة , محمد شفيق غريال وزملائه , دار الجبل للنشر والطباعة والتوزيع , ١٩٦٥م
- ٢٧- مقاييس اللغة , ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا الرازي , جمع حواشيه ابراهيم شمس الدين , دار الكتب العلمية - بيروت , ط ٢ - ٢٠٠٨م